

صورولوجيا الأعجمي في رحلة عربي في بلاد العجم لعبد الله كروم
*Images of the Other in an Arab's Journey in the Land
 of the Non-Arabs by Abdullah Krum*

د/ مبروكة حولي *

كلية الآداب واللغات جامعة - الطارف -

(الجزائر)

m.haouli@univ-eltarf.dz

تاريخ النشر: 2026-06-09

تاريخ القبول: 2026-04-14

تاريخ الاستلام: 2026-02-16

ملخص:

يعرض هذا المقال موضوعاً من موضوعات الأدب المقارن يتمثل في الصورولوجيا والتي تجدد في فضاء الرحلة مجالاً خصباً لرصدها. رحلة عربي في بلاد العجم لعبد الله كروم، رحلة تقدم صورة للأعجمي (باكستان) من منظور عربي. تستعرض تاريخ هذا البلد و جغرافيته و تعدده اللغوي و الديني و العرقي و وحدته الوطنية، يقدم رموزه الثقافية و يشيد بدور المرأة فيه، تقدم هذه الرحلة صورة متسامحة متقبلة للآخر منبهة بإمكانياته، صورة تعكس فكر باحث و مثقف أكاديمي، و لأن الحديث عن الآخر لا يمكن أن يتم بمعزل عن الذات، فإن هذه الأخيرة قدمت بدورها صورة للأنثى الراوية و للأنثى الجزائرية، صورة مبهرة للآخر تتمثل في الإشادة بتاريخها النضالي و التغني بجمالها المثالي .

الكلمات المفتاحية : الصورولوجيا ، العربي ، الذات ، الرحلة ، الأعجمي .

Abstract :

This article presents a topic from comparative literature, namely imagery, which finds fertile ground for observation with in the space of travel . An Arab's journey to the land of the non-Arabs by Abdullah Karum, this journey presents an image of the non-Arab (Pakistan) from an Arab perspective.it showcases the history, geography, linguistic, religious, and ethnic diversity of this country,as well as its national unity. It presents its cultural symbols and praises the role of women within it. This journey offers a tolerant and accepting image of others,dazzling with its potential—an image that reflects the thought of a researcher and academic intellectual.

Because speaking of the other cannot be done in isolation from the self, the latter, in turn, presents an image of the narrating self and the algerian self -a dazzling image of the other that praises its history of struggle and celebrates its ideal beauty.

keywords: Imagery, the arabic, the Self, the Journey, non-arab

*

المؤلف المرسل : مبروكة حولي

1- مفهوم الصورولوجيا :

مصطلح ظهر في الأدب المقارن ليشير إلى دراسة صورة شعب عند آخر باعتبارها صورة خاطئة، و الصورولوجيا حقل لدراسة تكون الصور الخاطئة في شهادات أدب الرحالات كما عالجها (ج. م. كاري) و (أ. لوقا)

تعتمد الصورولوجيا على مفاهيم الدرس السيكلولوجي، السوسيولوجي الأثنولوجي وهي بذلك عبارة عن تداخل دروس العلوم الإنسانية بالأدبية.⁽¹⁾

و الصوِّرة هي تمثيل فردي أو جماعي - يدخل فيها في وقت واحد - عناصر ثقافية و تأثيرية موضوعية و ذاتية، فلا يمكن لأي أجنبي أن يرى بلدا كما يريد أهله أن يراه، بمعنى أنّ العناصر التأثيرية تفوق العناصر الموضوعية فالأخطاء تنتقل بسرعة و أفضل من الحقائق⁽²⁾ . وعليه فتظافر العناصر الذاتية والموضوعية يساهم في تشكيل صورة الآخر.

2 - نشأة الصورولوجيا :

ترجع بداية هذا الفرع من فروع الأدب المقارن إلى النصف الأول من القرن 19م، عندما قامت الأدبية الفرنسية المعروفة "مدام دوستايل" بزيارة لألمانيا في وقت تصاعد فيه العداء و سوء الفهم بين الشعب الفرنسي و الألماني. أثناء الإقامة فوجئت بمدى سوء الفهم و الجهل الذي يعاني منه الفرنسيون لألمانيا، فهم يجهلون الكثير عنها فيما يخص المجتمع و الثقافة و الأدب، و أنهم رسموا في أذهانهم صورة لشعب فظ غير متحضر، رحلة "مدام دوستايل" جعلتها تكتشف ما يتمتع به الألمان من مناقب ناهيك عن جمال الطبيعة و غنى الأدب الألماني و المستوى الرفيع الذي بلغته الفلسفة الألمانية، وضعت كتابا بعنوان "ألمانيا"، صحت من خلاله ما في أذهان الفرنسيين من صور مشوهة عن الألمان و بلادهم و ثقافتهم و بذلك عدّ هذا الكتاب بداية بما يعرف بالدراسة الأدبية للآخر (الصورولوجيا)⁽³⁾

هذه الصورة التي يرسمها أديب ما لمجتمع أجنبي لا تعبر عن مشكلات ذلك المجتمع أو التزام الأديب حيال المجتمع الأجنبي و من رغبته في إصلاحه، إنما تتبع من مشكلات الأديب نفسه و مشكلات قومه في مواجهة الآخر، لذلك تلي الصورة الأدبية في الدرجة الأولى حاجات نفسية أو فنية و اجتماعية

للشعب الأجنبي دون أن تلبى حاجات المجتمع المدروس في أغلب الأحيان .⁽⁴⁾ وبذلك يمكن القول أن تشكيل صورة للآخر ،ينجم عادة من رغبة ذاتية للأنا أو تلبية لحاجة نفسية أو اجتماعية.

3- مكونات الصورة :

يقتضي تكوين صورة عن الآخر توفر جملة من العناصر أهمها:

. وجود مخزون واسع من الكلمات ، أو وجود حقول معجمية تشكل مفاهيم و مشاعر مشتركة ، حيث المبدأ بين الكاتب و جمهوره ،فالصورة لغة تختلط فيها المشاعر بالأفكار ،وهي ترجع إلى واقع ترسمه و تدل عليه .⁽⁵⁾

. رصد العناصر التي تكشف تعبيرات الآخر وحركاته وعلاقاته الاجتماعية ، فقد نجد الكثير من العلاقات داخل النص الأدبي مفيدة من أجل دراسة الآخر مثل دراسة العلاقات الذكرية الأنثوية .

. الوصف المخالف الذي يساعد على تقديم صورة للآخر من خلال ثنائيات متناقضة تدمج الطبيعة و الثقافة مثل متوحش مقابل متحضر ،بربري مثقف إنسان مقابل حيوان و رجل مقابل امرأة و كائن متفوق مقابل كائن ضعيف .

. وصف منظومة قيم الآخر ورصد مظاهر ثقافته (الدين ،المطبخ ،اللباس ،الموسيقى) — يعد السيناريو عنصرا هاما في توضيح صورة الآخر ،إذ الصورة لم تعد سلسلة من العلاقات التراتيبية و الشكلية في نص معين ،بل صارت توضيحا كاملا لحوار بين ثقافتين من خلالها يقدم الأجنبي عبر تشكيل جمالي و ثقافي أي يقدم عبر الصورة السيناريو .⁽⁶⁾

4 - أنماط تمثيل الأعجمي في أدب الرحلة :تظهر صورة الآخر في مظاهر و حالات عدة .⁽⁷⁾

أ - الصورة السلبية :

تكون في حالة العداء للآخر ، فالصراع بين الشعوب يؤدي إلى تكوين صورة سلبية مثل صورة المستعمر في الأدب العربي ،التي تثير بالضرورة مشاعر العداء اتجاه الآخر ، و مشاعر الولاء والتضامن و التوحد اتجاه الذات أو الأنا.

ب - الصورة الإيجابية :

تتم عند ما يرى الكاتب الواقع الثقافي الأجنبي متفوقا على الثقافة الوطنية الأصلية، فيرافق التفضيل الإيجابي للأجنبي مع عقد النقص التي تعاني منها الذات، فينجم عنه حالة من الهوس و الانبهار بالآخر، مثل ذلك انبهار العرب بالثقافة و الحضارة و التمدن الغربي .

ج - الصورة المتسامحة :

تكون دراسة الصورة فيها من رؤية متوازنة للذات و الآخر، ينظر للآخر باعتباره ندا، فينتفي الهوس و الانبهار، فتكون الرؤية للآخر موضوعية يسودها التسامح الذي يحتاج إلى نضج فكري يقوم على التأمل و التمثل لا على استيراد الأفكار و المعطيات الأجنبية، إنه يحتاج إلى حوار دائم للذات و الآخر بعيدا عن العقد النفسية .

5 - رحلة عربي في بلاد العجم :

وهي رحلة للكاتب الجزائري عبد الله كروم ، يتناول فيها تجربة شخصية عاشها في بيئة غير عربية ، قسمت الرحلة إلى أجزاء ، استهلها يومضات من مذكرات رحالة عربي في بلدان أعجمية ، ذكر فيها حبه و شغفه بالسفر و الرحلة ، استعرض رحلاته لعدة بلدان أعجمية من ذلك : ماليزيا ، هونكونغ ، تركيا ، باكستان .

استعرض في كل محطة من هذه المحطات ما أثار انتباهه و إعجابه ، إذ صور تجوله في ماليزيا في برجها الشاهقين ، و بين عظم مبانيها و خاصة عماراتها ، ليزور بعدها حظيرة التماسيح ليلتقط فيها صورا رفقة نصب تذكارية .⁽⁸⁾

أمّا كوالالمبور فقد زار أكبر مساجدها ، ليبين بعدها تعرضه للاحتيال من طرف وكالة سياحية ، إذ قدموا له أوراقا نقدية مزورة ، ليستعين بالاتحادات الطلابية التي ساندته ، فهدد الوكالة بالتشهير بها ، و لتكفر الوكالة على ذنبها أرسلته إلى هونكونغ ، فصور انطباعه عن هذا البلد ، ولعل أول ما لفت انتباهه صرامة الأمن في مطارها و التدقيق في كل صغيرة و كبيرة تتعلق بكل وافد أجنبي ، صغر حجم مدينة هونكونغ و كبرها في حركتها التجارية و النشاط الدائم و الحركة المتواصلة لسكانها ، أشار إلى ناطحات السحاب ، و إلى وسائل النقل ، فالقطار فيها على أنواع ثلاث واحد الأرض و الثاني فوقها ، و الثالث معلق في السماء ، إنها خلية نحل دائمة العمل و النشاط " ⁽⁹⁾

بعد هونكونغ حل الكاتب بتركيا ، أشار إلى زيارته جسر الأقساري ، و حدائقها و السور التاريخي لأسطنبول .⁽¹⁰⁾

لينتقل بعدها للحديث عن رحلته إلى باكستان، قسم الرحلة إلى ثلاث كؤوس، كل جزء من الرحلة لباكستان يعادل مرحلة من مراحل إعداد الشاي الصحراوي لينتهي رحلته برشفة أخيرة من الكأس، هذه الرشفة كانت وداعا لباكستان على أمل زيارتها مرة أخرى .

6 - صورة الأعجمي من منظور عربي :

تعد الرحلة من أهم نوافذ معرفة الشعوب و ثقافتها و حضاراتها، فهي تقدم صورة حيّة عن معتقداتها و عاداتها و ممارساتها اليومية، إنها تقدم صورة للآخر في مختلف تظاهرات حياته.

يشكل الآخر بالنسبة للراوي جزءا أساسيا في بناء الرحلة من كافة المستويات باعتبار أن السفر هو مرآة للآخر و مرآة للنفس، فالفاعل و التواصل مع الآخر يقضي إلى التوافق أو الاختلاف معه .

لقد كانت رحلة عبد الله كروم إلى باكستان، رحلة علمية شارك بمقتضاها في المنتدى الدولي الثالث حول أدب السيرة الذاتية في الأدب العربي، و أن رحلته قصيرة المدى، لم تدم سوى أسبوع واحد، وهو بالنسبة إليه غير كاف للإحاطة ببلد شاسع المساحة متعدد الأعراق و الأديان و اللغات، بالرغم من قصر الرحلة إلا أنّ ذلك الأسبوع كان مليئا بالأنشطة و الحكايات و المغامرات و المشاهدات و الزيارات المتعددة لأهم أقسام الجامعة و أهم أقاليم باكستان .

تناول عبد الله كروم في محكية الرحلي لقاءه بالآخر، فصور مظاهر تفوقه و نقل صورته الحقيقية كما أدركها و عاشها في تلك الأيام القليلة .

- الشخصية الباكستانية :

ولعل أول شيء لفت انتباهه في باكستان هو المطار، فقد سمي باسم أهم رموز باكستان محمد إقبال، الشاعر و الفيلسوف الباكستاني، لقد كان المطار بوابة للتعريف برموز و أيقونات باكستان و مرجعياتها، فهذا الاسم له رنين الذهب . شخصية واثرة و علامة فارقة في الشرق، الاسم كبير و المطار صغير، لكنه نظيف و الحركة فيه منتظمة و لوحات التوجيه مكتوبة بلغة الأوردو⁽¹¹⁾

لقد كان محمد إقبال المعادل الثقافي لباكستان، بثقافته الواسعة المتعددة المشارب، الاعتزاز بالأصل و العقيدة، يشحذ الهمم و يبني الروح الوثابة و يشدها بالماضي دون أن تبقى فيه، له مكانة كبيرة في باكستان، سميت باسمه المؤسسات مثل المطار، المدارس، الجامعات و لعل أكبر دليل على مكانته أنه بني له ضريح كبير و قد زاره الكاتب يقول : "زرت ضريحه في المدينة القديمة و بجانبه يقف

شرطيان على مدار الساعة يحرسان مرقد عظيم من العظماء جمع بين الشعر و الفلسفة و التصوف و الفكر و له في الجامعة كرسي باسمه " (12)

باكستان بلد عظيم يحتفي برموزه و هم أحياء و إنّ ماتوا فإنهم يخلدون آثارهم و يجعلونهم رموزا تاريخية و معلية .

و مما لفت انتباه الكاتب تمسك الفرد الباكستاني بهويته ،تمسكه بزّيه و لباسه التقليدي و لعل لقاءه بالأستاذين و الأخوين حامد و همداني أكدا له ذلك ،فقد استقبلا الكاتب في الجامعة بلباسهم التقليدي يقول : " اكتشفت من خلالهما الشخصية الباكستانية المعتزة بهويتها ، كل واحد منهما أطلق لحيته البيضاء ،و تزيّا بزّي بلدهما ،سروال رمادي و قميص مثله يصل للركبة ،و قبعة بنية تعتمر الرأس " (13)

و بالنسبة للمرأة يرى الكاتب أنّ للمرأة الباكستانية على قدر كبير من الجمال ،فأهم ما يميزها قامتها الفارحة و جسمها الذي يغلب عليه الامتلاء، عين حوراء و شعر أسود غريب و ناعم و طويل، يملأ قلب الألمانية الشقراء غيرة وحسدا (14)

و ما يميزها أيضا أنّها محافظة لكنها تملك هوامش من الحرية ،تعبّر عن شخصيتها ،و خير دليل على ذلك رئيسة الوزراء "بنازير بوتو" التي أعتيلت سنة 2007 ،و تعد أول رئيسة وزراء في بلد مسلم .

صوّر الكاتب حب المرأة الباكستانية للزينة و التزين ،حتى في أماكن التعليم ،فقد رأى البنات في الكلية يزدحمن على مرآة كبيرة في وسط الساحة ،و يتداولن على واجهتها للتمكيح و التكحل و صناعة زينتهن ،و لهن لمسة إبداعية ،إذ رأيتهن يرسمن في كل مكان ،و بعضهن يعزفن على آلات موسيقية خاصة في قسم الفنون ،أما بنات قسم العربية فأنجزن معرضا للخط العربي و بالغن في أخذ الصور معنا ،أما رئيسة القسم فقد كانت آية في التواضع و الأخلاق و الرزاة . (15)

كانت هذه هي صورة المرأة الباكستانية ،جميلة ،محبة للزينة و الجمال محبة للعلوم و الفنون ،متواضعة ،محافظة .

- ثقافة الضيافة :

يملك أهل باكستان ثقافة خاصة في استقبال الضيوف ،إذ يستقبلونهم بالورود ،فقد أستقبل الكاتب جمعية الوفد المشارك في الملتقى بالورود بالرغم من وصولهم في وقت متأخر من الليل ،و كذلك فعلوا صباحا عند مدخل كلية اللغات ،إذ وضعوا أكاليل من الزهور على طاولة المنصة الشرفية ،، انبهروا

الكاتب بانتشار الورد في كل أنحاء الجامعة بألوان مختلفة ، كما انبهر بهذه المدينة "بهاول بور" حدائق ، أزهار تحمل ألوانها عبقها ، عطرها ، مدينة بمنزلة الربيع من الزمان . (16)

كما يتميز أهل باكستان بحفاوة استقبال للضيف و هذا ما لمسهُ الكاتب منذ نزوله بالمطار ، إذ خصصت الجامعة من يستقبله و يأخذه إلى مقر إقامته ، كذلك الاستقبال الحار التي حظي به من طرف رئيس الملتقى همداني . كما استحضر الكاتب كرم وجود وطيبة أهل بهاول بور . هذه السمات موجودة فيهم بالفطرة ، فهم جنوبيون قرييون إلى الصحراء ، يجتهدون كثيرا في إرضاء ضيوفهم ، و أهل الصحراء و الجنوب ملة واحدة يسعون للكرم على طريقة حاتم الطائي (17)

والحديث عن الضيافة و حفاوة استقبال الضيف يقودنا بالضرورة للحديث عن خصوصية و ميزة الطعام الباكستاني ، إذ يغلب على الأكلات الباكستانية الأرز و اللحوم البيضاء لاسيما الدجاج و أحيانا يحضر السمك ، كما يتميز الأكل بطعمه الحار و بكثرة البهارات فيه . أما الشراب فيعتبر الشاي أكثر مشروب يستهلك فيها ، فهي أكثر البلدان استهلاكاً له ، و قد اهتمت مؤخرا بزراعته ، يشربون الشاي ثلاثيا بألوان ثلاثة أبيض و أخضر و أسود . (18)

- التعدد اللغوي :

يتميز المجتمع الباكستاني بتعدد اللغوي ، فلغته الرسمية هي الأوردية و لغة الإدارة و الدراسة ، أو اللغة المكرسة هي اللغة الانجليزية ، و تنتشر لغات أخرى مجاورة مثل البنجابية و السندية و الكشميرية و السيريانكية ، و البلوشستية . و الجغرافيا اللسانية المتعددة في البلد الواحد تكسبه التعدد و التنوع و الثراء و الغنى و تمنحه مخيالا جمعيا أوسع و تمدّه بانزياحات جمالية متكوّنة و توفر له مجازات متنوعة و مختلفة و تثري قاموسه المعجمي و الدلالي . (19)

هذا التعدد و التنوع اللغوي يفسح المجال للانفتاح و الحرية في الخيارات التعبيرية و يساهم في إحداث تبادل ثقافي مع احترام خصوصية كل طرف .

و عليه فالتنوع ميزة في باكستان حتى اللباس متعدد الألوان ، النساء يلبسن ملحفات مزركشة ، الرجال يلبسون لباسا ملونا ، الشاحنات مزوقة بألوان الطبيعة المتعددة ، مقاعد المقاهي ملونة ، باكستان يمنحك انطباعا أنّه بلد التعدد في إطار الوحدة ، تعدد اللغات ، تعدد الأعراق ، تعدد الأديان ، على هذه الأرض كل شئ متعدد إلا الوطن فواحد . (20)

و بالنسبة للعربية فباكستان تحب العرب و العربية شكلا و مضمونا و حرفا و عرقا و تقييم للضاد احتفاء في يومها العالمي، و لا تكاد تخلو جامعة من جامعاتها من قسم اللغة العربية، بل أنهم يعتبرون العربية الوجه الآخر لديهم الإسلامي، و من شدة حبيهم للعرب جعلوا حروف لغتهم مثل حروف العربية. فعندما استقلت باكستان عن الهند سنة 1947 استقلت بشخصيتها في كتابة الأوردو و كتبتها بحروف عربية " (21)

إنهم يحتفون بالعلم و بكل ماله صلة بالعربية و إقامة المؤتمرات الدولية و الاحتفاء بالباحثين العرب . بعد انتهاء أشغال الملتقى الدولي نظمت الجامعة الباكستانية للوفد المشارك في الملتقى جولات في أهم مدنها، فكانت الوجهة نحو لاهور وهي مدينة تاريخية، التقت فيها الحضارات، فتقاطع زخم التاريخ فيها مع سحر الجغرافيا، تحدث عنها ابن بطوطة في رحلته و أهم ما يميز هذه المدينة - في نظر الكاتب - وجود جامع ضارب في القدم يسمى باد شاهي، وهو صامد منذ أكثر من أربعة قرون، و هو خامس أكبر مسجد في العالم مبني بقرميد يحتوي على الحجر الرملي الأحمر، كل مكان فيه خزانة أسرار، فيه متحف للمخططات العربية منها مصحف شريف مكتوب بماء الذهب و آخر للرموز المقدسة من آثار الأنبياء و الصالحين، به ساحة حجرية مترامية الأطراف و قاعة للصلاة مزخرفة و أبواب عملاقة نقش عليها الأذكار . بقرب هذا الجامع يوجد ضريح العلامة محمد إقبال، مزار لا يخلو من زواره في كل وقت بجانبه يقف عسكريان مسلحان و مستعدان على مدار الساعة في مهمة لحراسة مرقده . (22)

ما يميز هذا الجامع أنه تلتصف به قبة مثل قباب المساجد، فيها شبه منارة فضية اللون، تساءل الكاتب عن ذلك فقليل له : أنه للشيخ ليندهش معبد الشيخ بالقرب من مسجد المسلمين و لكل منهم ربّ و دين، فرّق بينهم الدين و جمعهم الوطن . (23)

كما توجد في هذه المدينة قلعة الأباطرة، تتميز بأسوارها العالية و مدينتها الحجرية، وهي قلعة بنيت منذ أربعة قرون من قبل المغول و الأتراك، و مازالت صامدة، الحقائق في أماكنها، الصالات الملكية تعج بالصور لتمائيل الأمراء، إنها تحكي زمنا كان فيه للعرب المسلمين الكلمة الأولى، بسطوا سيطرتهم على الشرق و الغرب . (24)

و كان للكاتب زيارة للمدينة بمحاول بور أشاد فيها بكرم الضيافة و حسن الاستقبال فقد أقام مسؤولوها لافئات عملاقة في مداخل المدينة تحمل صور الكاتب و الوفد المشارك معه في الملتقى، اللافتات عليها صور و اسم الجامعة التي ينتمي إليها كل مشارك، لقد كان الاستقبال مميز جدا و قد اقترح منظمو

الملتقى بتنظيم زيارة لصحراء بلوشستان التي تبعد عن بماول بور بمسافة 60 كلم، و من ثمة العشاء عند البدو، ليظهر الكاتب فرحا بزيارة الصحراء فهو ابن بار بالصحراء، لتبدأ مغامرة تجواله بين كتبها الرملية و تذكره لصحرائه الجزائرية .

7 - الثقافة العربي المتسامح:

يمكن أنّ تبني صور الأنا و الآخر في الصورولوجيا على أسس غير التنافر و التباعد و الإقصاء، فتكون صورة مبنية على التسامح و القبول و المثاقفة، فيكون بذلك مفهوم التسامح في الصورولوجيا قائما على الحوار بين الذات و الآخر، هذا الحوار يفضي إلى تقبل الآخر المختلف عنه ثقافيا و عرقيا و دينيا، ليصبح بذلك تركيز الصورولوجيا على مبدأ الاحترام المتبادل بين الأنا و الآخر، فنظرة الأنا غير نمطية لهذا الآخر المختلف عنها و بالتالي " تحكم عليه بصورة إيجابية و يدرج ضمن الثقافة الناعمة التي تعد هي بدورها إيجابية و مكملية للثقافة المنظورة، إذن فالتسامح هو الحالة الوحيدة للتبادل الحقيقي و الثنائي " (25)

هذا التسامح هو إقرار و اعتراف بالآخر، لا يتحقق إلا عندما تكون الذات موضوعية و لا تحس بأنّ إيجابية الآخر و تفوقه يحس من ذاتها و يهز مكانتها و كيانها " فنقافة التسامح تحتاج إلى نضج فكري و معرفي يقوم على التأمل و التمثل لثقافة الآخر " (26)

هذا التسامح لا نلمسه على مستوى الكاتب فحسب، نلمسه أيضا في تركيبة المجتمع الباكستاني، هذا المجتمع المتميز بالتعدد اللغوي و الديني و العرقي، يعيش كتلة واحدة متلاحمة يتقبل و يحترم كل طرف ثقافة و لغة و عرق كل طرف آخر، و لعل هذه الوحدة و هذا الاحترام المتبادل هو ما جعل باكستان قوة اجتماعية و اقتصادية متماسكة .

و لعل كل هذا جعل الأنا (الكاتب) منبهر بالآخر، فاحترام هذا الأخير (الآخر) للأنا العربية و قيامه بمؤتمرات دولية حول العربية و كل ما يتعلق بها و حسن استقباله للوفود العربية و قيامه بجولات لهذه الوفود من شأنه أن يؤكد النظرة الايجابية للآخر .

إذ حاول الآخر (باكستان) ربط جسور تواصل توثق التفاعل بين الأنا و الآخر، و كان ذلك من خلال طلب مدير الجامعة من الكاتب و طرح فكرة التعاون العلمي بين الجامعة الإسلامية بماول بور و الجامعة الإفريقية أحمد درايعية بأردار " (27)

تقدم الرحلة عادة لقاء بين ثقافتين تمثل الأولى ثقافة الأنا الراحلة و ما تحمله من أفكار و تصورات. أما الثانية فتمثل الفضاء الذي ارتحل إليه لرغبة الاكتشاف و التعرف على الآخر. و الالتقاء بين هاتين الثقافتين يطرح بالضرورة العلاقة بين الأنا و الآخر .

والمتمأمل في هذه العلاقة يلاحظ أن الأنا حين تصف الآخر، فإنها تستحضر ذاتها و الأنساق الثقافية المشكلة لها و تتخذها كمعيار للحكم على الأنساق المشكلة للآخر رفضاً أو قبولا، وهو يدل على محورية الذات في المحكي الرحلي و بالتالي يكون السرد ذاتيا من خلال " الحضور المتصل بضمير الأنا كتعبير على امتلاك ناصية الكلام و التدوين من خلال تحويل الأنا إلى بؤرة و الميثاق التلفظي الذي يتجلى في أوضح صورة في إعلان المؤلف عن مقصديته من الكتابة، سواء بالإحالة على تجربة ممتدة أو محدودة قدت من الزمن " (28)

الباحث عن صورة الذات في رحلة عربي في بلاد العجم تتضح له صورة الأنا الكاتبة (الرحالة) و صورة الذات الجزائرية التي استحضر الكاتب طبيعتها و تاريخها و مثقفها .

لقد كانت شخصية الراوي (الرحالة) شخصية محورية و مركزية حضورها قويا، اهتم بتفاصيل كل مشاهداته و صفها بدقة، و حدد كل الأماكن التي زارها تحديدا دقيقا مستحضرا تاريخيا ووقائعها، و بذلك تظهر شخصية الراوي بصورة المثقف الملم بتاريخ باكستان، و العارف بفكرها و ثقافتها و هو ما جعل صور مدنها عالقة في مخيلته خاصة مدنية بمحاول بور التي انبهر بحفاوة الاستقبال و قد أرجع ذلك إلى أن هذه المدينة إلى عهد قريب حملت اسم العباسية، يقول: " لقد وجدنا بقايا الأجداد في التراب في نسيمات الهواء و جزئيات الماء، في أسماء الأماكن في سحنات الناس في البيوت القديمة، في القصبات التي قاومت أخاديد الزمن، مازالت صامدة منذ بناها الهاشميون في العصر العباسي و تركوا بها قصورا و تراثا عظيما، هو تراث أجدادنا... ربما كان جدي الهاشمي الأول الذي جاء إلى الجزائر، و بنى مجددا تليدا فيها، هو شقيق الهاشمي الأول في بمحاول بور " (29)

8 - التفاعل الثقافي وتشكيل صورة الوطن في الوعي الأدبي:

استحضرت الذات الجزائرية عندما أدار الراوي الجلسة الختامية للملتقى، فألقى كلمة باسم الوفد العربي المشارك في الملتقى، فاستحضر تاريخ الجزائر الثوري مفتخرا و متباهيا بالتضحيات الجسام التي قدمها الشعب الجزائري في سبيل الحرية و الاستقلال يقول: " نحن الجزائريين عندما تكون بين الأمم و الشعوب، ترفعنا عزة التضحيات، تضحيات الشعب الجزائري في ثورته المباركة يبني لنا شهداؤنا و

مجاهدونا جبالا من المجد و الفخار ،فترتقيها و تمنحنا دماء التضحيات الجلوس على قمة الشرف و البطولة فتشرئب أعناقنا فوق فوق " (30)

لم يكتف الراوي بالإشادة برجال الجزائر في سبيل نيل الحرية ،بل أشاد بالمرأة الجزائرية الرائدة و المبدعة ،فقدم شجاعة المرأة الجزائرية و تميزها عبر العصور ،ذكر تنهينان ملكة الطوارق و بطولتها ،و كيف جعلت الرجل الطارقي يتلثم أمامها لتمنح لنفسها سفور الوجه . (31)

أشاد بطبيعة الجزائر و ما تملكه من سحر خلاب ،و قد اجتمع كل ذلك السحر في الصحراء الجزائرية ،فحنين الراوي إلى صحرائه كان عندما عرض منظمو الملتقى على المشاركين زيارة صحراء بلوشستان ،فسرّ الراوي بذلك كثيرا فالصحراء يعرفها و تعرفه ،خيرها و خبثه ،هي أمه الحنون وهو ابنها البار ،بعد التجول في صحراء بلوشستان بسيارات رباعية الدفع جعلت الراوي يعيش مغامرة جميلة ممتعة ،جعلته يعود بذكرته إلى صحرائه و جمالها و مغامراته فيها ،فاستحضر طقوسها الدينية و المتمثلة في بعض عاداتها و تقاليدها ،إذ حدث الوفد عن البردة للإمام البوصيري و أسطرتها في الصحراء الجزائرية و خاصة منطقة توات ،"إذ يستحضرونها في الأفراح و الأقراح ،و أيام الخميس و أيام المولد النبوي الشريف و تحضر البردة كثيرا في سبع ليال من أيام العرس ،فالعرس يستقبل كل ليلة في المناطق القروية منشديها و في اليوم الأخير يقيم لهم مأدبة دسمة." (32)

و بذلك يمكن القول أنّ حضور الذات كان طاغيا في الرحلة ،فقد مارست الذات حضورها بفكرها و ثقافتها ،فقدمت صورة لذات مفكرة مثقفة متسامحة و متقبلة للآخر في تعدده و تنوعه ،ذات مقترنة لأبعد الحدود بوطنها ،ما إن تتاج لها الفرصة للحديث حتى تتغنى بتاريخ الوطن و نضال شهدائه و الإشادة بدور المرأة فيه على مرّ العصور ،ناهيك عن استحضار جماله طبيعته و سحر صحرائه ،و مدى محافظته و تمسكه بالثوابت الدينية .

يختتم الراوي رحلته بوداع باكستان و تذكير بصورتها الجميلة التي ظلت و ستظل راسخة في ذهنه ،فباكستان هي التاريخ و الجغرافيا في تنوعها و جمالها ،وهي الكرم و الجود و حسن الضيافة و الطيبة .إنها فعلا بلاد الطهر و الطهارة متمنيا لها العيش في رحاب الرفاه و الاكتفاء الذاتي ورغد العيش .

في ختام هذه الدراسة التي رصدت رحلة عبد الله كروم 'إلى باكستان ،تم التوصل إلى النتائج الآتية :

. إنَّ أدب الرحلات كان و لا يزال من الفنون المتأصلة في الفكر العربي، إنَّه باب الانفتاح على الآخر، يتيح التقاء الثقافات و بالتالي التواصل و التفاعل و التحوار مع الآخر .

. تجسد الصورولوجيا في أدب الرحلات فضاء واسعا لرصد صورة الآخر في مختلف تفاصيلها، كما تتيح للأنا عيش تلك المغامرة التي من شأنها جعل الأنا تحسن بأناها و تدرك ما حولها .

- رحلة عربي لبلاد العجم لعبد الله كروم . رحلة علمية قصيرة المدى (أسبوع) استطاع الكاتب من خلالها رصد كل مشاهداته و انطباعاته بكل دقة، فبالرغم من قصر المدة، إلا أنَّه توقف عند محطات مهمة في باكستان، أثرت تجربته الرحلية .

. ظهرت باكستان في رحلة عبد الله كروم بلاد للطهر و الطهارة و بلاد للتاريخ و الجغرافيا و الطبيعة الساحرة، بلاد الكرم و الجود و الضيافة، بلاد التعدد في اللغة و الدين و العرق و الوحدة في الوطن.

. صورة الأعجمي من منظور الراوي كانت صورة إيجابية عكست ما عاشه الراوي في باكستان صورة متسامحة مع الآخر متقبلة لكل اختلاف و تعدد و معجبة بذلك الانسجام المتحقق رغم الاختلاف، صورة تعكس فكر مثقف أكاديمي ينظر للآخر دون عقد أو نقص، بل و يتمنى له المزيد من الازدهار و تمني زيارته مرة أخرى .

. الحديث عن الآخر لا يمكن أن يتم بمعزل عن الأنا و خاصة في حال تقديم صورة له، فالأنا وهي تقدم صورة للآخر، نجدها بالضرورة تستحضر أناها كمعادل ثقافي أو موضوعي و هذا ما لمسناه لدى الراوي، فكلما سمحت له الفرصة نجده يستحضر ذكرياته و مغامراته و تاريخ وطنه، و بذلك برز عبد الله كروم في رحلته كشخصية رئيسية، رحالة، أستاذ، مشارك في ملتقى دولي، مستحضر لتاريخ و طبيعة الجزائر كلما اقتضى الأمر، و بذلك كان مثالا للمثقف الأكاديمي المتسامح المتقبل للآخر و المغربي بزيارة باكستان .

الهوامش:

1. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبيرس، الدار البيضاء، المغرب، ط01 1985، ص 137 .
2. كلود بيشوا أندريه روسو، الأدب المقارن، ترجمة أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، ط03، 2001، ص144 .

3. ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص 110 .
4. المرجع نفسه ، ص 112.
5. المرجع نفسه ، ص 115
6. المرجع نفسه ، ص 117
7. المرجع نفسه ، ماجدة حمود ، ص 120 ، 121 .
8. عبد الله كروم ، عربي في بلاد العجم ، ص 06 .
9. المرجع نفسه ، ص 10 .
10. المرجع نفسه ، ص 13 .
11. عبد الله كروم ، عربي في بلاد العجم ، ص 35
12. المرجع نفسه ، ص 17
13. المرجع نفسه ، ص 39.
14. المرجع نفسه ، ص 34 .
15. المرجع نفسه ، ص 17 .
16. المرجع نفسه ، ص 78 .
17. المرجع نفسه ، ص 78 .
18. المرجع نفسه ، ص 41 .
19. المرجع نفسه ، ص 40.
20. المرجع نفسه ، ص 83 .
21. المرجع نفسه ، ص 14 .
22. المرجع نفسه ، ص 65
23. المرجع نفسه ، ص 68 .
24. المرجع نفسه ، ص 68 .
25. دانيال هنري باجو ، الأدب العام و المقارن ، ترجمة غسان السيد ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، 1995 ، ص 199 .
26. ماجدة حمود ، صورة الآخر في التراث العربي ، ص 28.
27. عبد الله كروم ، عربي في بلاد العجم ، ص 98 .
28. عبد القادر الشاوي ، الكتابة و الوجود ، السيرة الذاتية في المغرب ، دار إفريقيا للنشر ، الدار البيضاء ، ط 01 ، 2000 ، ص 07 .
29. عبد الله كروم ، عربي في بلاد العجم ، ص 77 .

30. المرجع نفسه ،ص 15.

31. المرجع نفسه ، ص 16 .

32. المرجع نفسه ،ص 104 .

قائمة المراجع :

1. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشسبييس، الدار البيضاء، المغرب، ط01 1985.
2. كلود بيشوا أندريه، روسو، الأدب المقارن، ترجمة أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، ط03، 2001.
3. ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000.
4. ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، ط01، 2010.
5. عبد القادر الشاوي، الكتابة و الوجود، السيرة الذاتية في المغرب، دار إفريقيا للنشر، الدار البيضاء، ط01، 2000.
6. دانيال هنري باجو، الأدب العام و المقارن، ترجمة غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1995.
7. عبد الله كروم، رحلة في بلاد العجم، دار الدواية للنشر، أدار، ط01، 2025.